وقبل مرحلة تغيُّر اسم الجزيرة من "المؤنسية" إلى "الحميدات" لا بد من تناول عوامل ظهور ذلك الاسم المرتبط بحركة هجرات القبائل العربية وتَغَيُّر الخريطة السكانية لمصر.

حركة هجرات القبائل العربية وإعمار قبائل هوارة

بدأت حركة هجرات القبائل العربية إلى مصر قَبل الفتح الإسلامى وبعده، وبنفس التصنيف التقليدى الذى ابتدعه، ثم التزمه علماء النَّسب القُدامى عندما قسَّموا العرب إلى ثلاث شُعب (عرب بائدة، عاربة، مستعربة)، ثم إلى قسمين أساسيين (عدنان، وقحطان)[1] وقسَّموا عدنان إلى (مَضر، وربيعة)، وقحطان إلى (كهلان، وحِمير) وتتوالى التقسيمات إلى الأسرة الواحدة متسلسلِين إلى الشُّعَب ثم القبيلة ثم العمارة، ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة، وعندما فتح الصحابى عمرو بن العاص – رضى الله عنه – مصر فى سَنة ١٨هـ/٦٣٩م، كان جيشه يتروح بين ثلاثة آلاف مجاهد من بينهم قبائل سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن قيس بن عيلان[2] وهى تُعد الجذور الرئيسية لمعظم القبائل العربية بمصر وليبيا، وتفرعت منها الكثير من القبائل الحالية بالمشرق والمغرب العربى، ثم لَحِق بالفاتح عمرو بن العاص – رضى الله عنه – أربعةُ آلاف أخرى، ثم وَصل الصحابى

(١) عبدالله خورشيد البرى، القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م صـ ٧٣.

(٢) د. سعد أبوسيف الحوتى ،الموسوعة العلمية فى أنساب القبائل العربية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، مطبعة أبو العزم، صـ ٦٠.

الزبير بن العوام – رضى الله عنه – سَـنة١٩هـ/٦٤٠ م ومعه اثنى عشر ألف مجاهد[١].

ويُلاحـظ أيضًا أن كثيرًا من المجموعات المختلفة تعاورت[٢] على المصريين من عرب إلى يونانيين إلى فرس إلى أتراك، وامتزجوا بالمصريين امتزاجًا دمويًا دون أن يؤدى ذلك إلى تغيير خصائص المصريين الجنسية؛ لأن هؤلاء الوافدين كانـوا يفلحون فقط فى تجديد دمـاء المصريين دون إحداث خلل فى الوظائف والمقومات البيئية لهم؛ لذلك احتفظ المصريون بحيويتهم عبر العصور.

ظلت مصر بجغرافيتها حلقة الوصل ومحطة التبادل لحركة التجارة بين الأوروبيين والقارة الهندية منذ الحُكم الرومانى لـها، ويذكر أن الإحصائية التى أعدها السيد عبد الله خورشيد البرى للقبائل العربية بمصر نتج عنها أن مجموع قبائل عدنان وبطونها ٦٠، ومجموع قبائل قحطان[٣] وبطونها ١٧٢.

لذلك فإن تلك الإحصائية تشـير إلى أن العـرب القحطانيون حوالى ثلاثة أضعاف العرب العدنانيين، ومن هنا تجد أن القحطانيين كانوا أصحاب الأثر الفعلـى الذى تركه العرب فـى الحياة المصرية ولا فـرق بين جنس وآخر، والأفضليـة دائمًـا إلى التقوى؛ قال تعـالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الحجرات آية ١٣).

(١) أحمد لطفى السيد، قبائل العرب فى مصر، القاهرة ١٩٣٥م، صـ ٩، ١٠.
(٢) تَعَاوَرَ الفُرْسَانُ عَدُوَّهُمْ بالضَّرْب: اِعْتَوَرُوهُ، تَدَاوَلُوهُ.
(٣) المرجع السابق، لعبد الله خورشيد البرى، صـ٧٤.

وفــى خطبة الوداع قال الحبيب – صلى الله عليه وســلم –: «يأيها الناس إنَّ ربكــم واحــد وإنَّ أباكم واحد ألا لا فضل لعربى علــى عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أســود ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى»[1] صدق رسول الله.

اســتقرت بعض القبائل العربية بالشــرقية بوابة مصر الشــرقية بشمال إفريقيا والبعض الآخر اســتمر فى الانتقال إلى بلاد المغرب ومنهم من شارك فى فتــح بلاد الأندلس ومن تلــك القبائل ما عُرفت بالهوارة حيث ســكنت المنطقة الممتدة من واحة سيوه شرقًا إلى المحيط الأطلسى غربًا.

وازدادت أعــداد العرب فى صعيد مصر على أثر ســقوط دولة الأمويين فى دمشــق، وهرب الكثير من أمام العباســيين[2] ومع عهد العباسيين تولى غير العــرب حُكم مصر فبدأت الهجرات إلى شمال إفريقيا وإلى الســودان، وعند تولى الفاطميون حُكم مصر فى سَــنة ٣٦٣ هـــ/٩٧٣م، عاد حُكم العرب لمصر وشــجعوا القبائل العربية المســتقرة بســوريا إلى الهجرة إلى مصر، ومن تلك القبائل بنى سليم، ومع عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى قَوِى شأن العرب فى مصر وأصبحت لهم الكلمة فــى الجيش والديوان وكان هناك موظف مختص بشئون العرب وقبائلهم ويسمى الحمدانى[3].

(١) أخرجــه أحمد فى مســنده (حديــث: ٢٣٤٨٩)، والطبرانى فى معجمه الأوســط (حديث: ٤٧٤٩)، والبيهقى فى شعب الإيمان (حديث: ٤٧٧٤) صححه الألبانى فى (غاية المرام).

(٢) رضــوان محمــد الجنائنــى، ماجســتير آداب، القبائل العربية فــى مصر فى القــرن الثالث والرابع الهجرى، القاهرة ١٩٧٦صـ ٢٨ – د. ايمان محمد عبدالمنعم، العربان ودورهم فى المجتمع المصرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م، صـ ١٥.

(٣) أحمد لطفى الســيد، قبائل العرب فى مصر، ج ١ القاهرة ١٩٣٥، ص ٨٢ – المرجع الســابق د. إيمان محمد عبدالمنعم، صـ ١٦.

بلغ العربان[١] فى عصر المماليك أعدادًا كثيرة، وانتشروا بالوجهين القبلى والبحرى، وتوقفت الهجرات إلى مصر بسبب كراهية المماليك، وبدأت ثورات القبائل العربية على العصر المملوكى بقصد الاستيلاء على الحُكم، فقام عرب الصعيد بثورة كبيرة ضد المماليك سَنة٦٥١هـ/١٢٥٣م، فكانت أهم الثورات ونادى العرب بأنهم أصحاب البلاد[٢] وامتنعوا عن دفع الخَراج، وانتهت بالفشل وجاء التنكيل والتعذيب للقبائل العربية ولم ينقطع العربان عن الثورة باعتبار أنهم أرفع مكانةً من المماليك فجاءت ثورة عرب الصعيد سَنة ٧١٠ هـ/١٣٠١م، فى مدينتى منفلوط وأسيوط، ثم ثورة ابن الأحدب[٣].

تُعد قبائل الهوارة من قبائل مصر وتنسب إلى عرب الحجاز[٤]، ووفدت إلى مصر بعض بطونها (عربان هوارة) من المغرب العربى وشمال إفريقيا واستقرت فى منطقة البحيرة ومن الإسكندرية غَربًا إلى العقبة الكبرى من برقة[٥] وكانت لهم الإمرة على عربان البحيرة[٦] حتى قام زعيمها بدر بن سلام[٧] بثورة كبيرة سَنة ٧٨٣هـ /١٣٨٠م فى عهد الأمير المملوكى الظاهر برقوق.

(١) العربان فى مصر: هم شيوخ القبايل العربية التى وردت على مصر ومكثوا فيها.

(٢) أحمد بن على المقريزى، صححه محمد مصطفى زياده، السلوك لمعرفة دول الملوك، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٣٤م جـ١ ص ٣٨٦

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٣١١ م جـ ١، صـ٢٠٠

(٤) عمر رضا كحّالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٤٩م، جـ ٣، صـ ١٢٣٠، تاريخ سينا لنعوم شقير صـ٧٢٥، قبائل العرب فى مصر، أحمد لطفى السيد صـ٢٥، ٣٥

(٥) أبو العباس أحمد بن على القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٦٣م، جـ ١، صـ ٣٦٤

(٦) المقريزى، البيان والإعراب، صـ ٦٨ – ليلى عبداللطيف، الصعيد فى عهد شيخ العرب همام، صـ ٢٨

(٧) المرجع السابق، ليلى عبداللطيف، صـ ٨، ٩، ٢٩

وقد كان برقوق هو مؤسس الدولة المملوكية الثانية للمماليك الشراكسة بعد أن أزال سلطان المماليك الأتراك وأعلن نفسه سلطانا للقاهرة ودمشق، وتشير المصادر إلى أن الأمير سلام وباقى قبيلته امتنعوا عن أداء التزاماتهم، وأهمها: جباية الخراج ووجدت الفرصة مواتية لإعادة النفوذ العربى إلى مصر بدلًا من النفوذ المملوكى، فكانت إحدى الثورات العربية من تاريخ مصر وكان برقوق مشغولاً بمحاربة المماليك الأتراك، وبعد أن انتهى منها وجه حملة ضخمة إلى ابن سلام الذى هرب إلى برقة.

كان لزامًا على برقوق أن يوقف ثورة العربان بزعامة الهوارة، فاتخذ خطوات استيعابية لإخمادها فأخرجهم السلطان برقوق إلى الصعيد سَنة ١٣٨٠م، واندمج معهم أبناء القبائل العربية وصار حليف القوم منهم واستقطع لهم برقوق أرضا بالأعمال الأخميمية البور و دجرجا والبلينا والتى عمروها بعد ذلك وصارت فيما بعد (أولاد على، والبلابيش، وأولاد سالم، وأولاد عليوه، والسماعنة، وأولاد يحيى، وبندار، والوشيشات والقليعات، والنجمية، والهمامية، والحميدات بقنا، وغيرها) من الأحلاف العربية التى اتحدت معها فكانت المكوّن الرئيسى للهوارة بصعيد مصر.

مكاتبة السلاطين لمشايخ القبائل العربية بالديار المصرية وبرقة

قسِّمت منازل القبائل العربية إلى الوجه البحرى، والوجه القبلى وذُكر أن لكلا الوجهين مكاتبة على الأبواب السلطانية، كما ذكرهم القلقشندى[1]

(١) أحمد بن على القلقشندى المُتوفى ٨٣٠هـ /١٤١٨م شرح محمد حسين شمس الدين، صبح الأعشى فى